التفاعل التربوي الأسري والضغوط الحضرية

خلاصة نتائج دراسة ميدانية بالجزائر العاصمة

أ.مختار جعيجع

حينما يحلل التربويون البيئة الاجتماعية التي ينشأ فيها الطفل في عصرنا الحالي غالبا ما يقسمونها إلى ثلاثة أوساط اجتماعية التي تحمل الشروط الضرورية لتنشئته الاجتماعية طيلة حياتها حسب ومراحل عمره كما يراها جاك صابران[1] Jacques Sabran هي: الأسرة والمدرسة والمجتمع، تشكل كلها مجالات متصلة متضافرة ومتبادلة بعضها ببعض وبشكل مستمر إلى أن تصنع شخصية الطفل الاجتماعية بحيث تضحى متكيفة مع أفراد المجتمع الواسع. وإذا كانت التنشئة الاجتماعية عادة ما يقصد بها الطريقة التي يتعلم بها الطفل الثقافة الجماعية باستمرار وأن التربية هي نقل المعرفة من جيل إلى جيل[2]، كنقل القيم والاتجاهات والأدوار والخبرات والمهارات التي تؤدي إلى نمو شخصية الفرد بحيث تجعله مندمجا في محيطه الذي يعيش فيها، فإن ذلك لا يخلوا من صعوبات ومعوقات التي تعترض الفاعلين في التربية (آباء، ومعلمين..الخ) في المجتمع الحديث خاصة المجتمع الحضري الذي مافتئ يتعقد أكثر فأكثر مع التطورات التكنولوجية المتسارعة والتقدم الهائل الذي يشهد العالم اليوم، فلا الأسرة ولا المدرسة ولا المؤسسات المجتمع الأخرى أصبحت قادرة لوحدها على تنشئة أفراد المجتمع تنشئة متوافقة مع بيئة حضرية تتميز بالتطور والتعقد المتناميين التي تخلق في كل مرحلة جملة من الصعوبات التي تعيق العملية التربوية لبلوغ أهدافها.

من هذه الزاوية سنحاول وصف الضغوط والصعوبات التي تعترض الأسرة في مدينة كبرى كالجزائر العاصمة، وفق بيانات عن واقعها الاجتماعي الفعلي المدروس، أي سنوضح كيفية تأثير تلك الصعوبات على الحياة اليومية للأولياء في الوسط الحضري وعلى وظيفتهم التربوية (كظروف الأب المهنية، صعوبة التنقل وندرة وسائله في الوسط الحضري، ضعف إمكانيات الأسرة المادية..)، كل تلك الظروف ترهق الأبوين يوميا وتقلل من فرص التفاعل الداخلي بينهم وبين أبنائهم على

---

[1] F.Balle: Encyclopédie de la sociologie le présent en question, Paris, Librairie Larousse,1975,P.187.

[2] محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، القاهرة، الدار المصرية للكتاب، 1979، ص 153

الخصوص. وبمعنى أدق أن تلك الصعوبات تقلل من ميزانية الزمن الذي يقضيه الآباء مع أبنائهم في الحياة الأسرية سواء داخل البيت حين ممارسة أنشطتهم المختلفة معا: كالقراءة المشتركة والتسلية وممارسة بعض الأعمال جماعيا، أو خارجه للتنزه وقضاء حاجات الأسرة من المصاريف المختلفة، أو لزيارة الأقارب أو غيرها من مظاهر الحياة الجماعية داخل الأسرة، وكل هذه الأوقات تعد مناسبة ثمينة لتربية الأبناء بمعناها المباشر أو غير المباشر والاحتكاك بهم عن قصد وغير قصد، ونعتبر كل ذلك ضمن ما يسمى التفاعل التربوي في الأسرة وبين أعضائها.

نحاول من هذا المنظور الإجابة عن السؤال التالي: إلى أي حد تسمح البيئة الحضرية في مدينة الجزائر العاصمة بتوفير المناسبات والشروط الملائمة للتفاعل بين أفراد الأسرة داخل البيت وخارجه في تلبية حاجاتها للترويح والتسلية؟

قبل محاولة الإجابة على ذلك ينبغي تحديد مفهوم التفاعل التربوي الأسري، فالتفاعل بصفة عامة هو تبادل نشاط أو أفعال اجتماعية بين شخصين أو أكثر، فحينما يكون التفاعل بين فردين "أ" و "ب" في موقف "ع"نقول: أن الشخص (أ) يتصرف مع (ب) بنشاط اجتماعي ما بشكل مباشر أو غير مباشر وفي الموقف (ع) أي حسب ظروف معينة وموضوع محدد بهدف مدرك بين كل الأطراف، وحينما يتكرر هذا التفاعل يؤدي إلى بناء علاقة (ج) أو إلى أفعال مشتركة كما يراها هـ .بلومرH.Blumer أو إلى سلوك اجتماعي كما أصطلح عليه هربرت ميدH. Mead[1]. وبناء على ذلك تتنوع صور الأفعال المتبادلة والمتكررة بين أفراد الأسرة الواحدة بمجرد الجلوس اليومي معا في البيت والحديث البيني أو مشاهدة التلفاز جماعيا والتعاون في أشغال البيت أو مصاحبة الأبناء عند قضاء حاجات تخص الأسرة والبيت..الخ، كل ذلك يدخل ضمن العملية التربوية الأسرية والتنشئة الاجتماعية عموما لأبنائها: فلا شك أنه خلال هذا التفاعل تقدم النصائح والإرشادات وتتم مراقبة الأبناء وتتبع واجباتهم المدرسية، وقد تكون التربية غير مباشرة أثناء الخروج إلى النزهة مثلا أو أثناء اللعب والتسلية الجماعية..الخ.

والواقع أن الحياة الأسرية لا تخلوا من مثل هذه الأنشطة التفاعلية التي تحدث بوتيرة مستمرة روتينية في الحياة اليومية والمناسبات المتكررة يعرفها الجميع: كتناول الطعام على مائدة واحدة والجلسات الأسرية اليومية وخلال المناسبات والحفلات العائلية وزيارة الأقارب..، لكن ذلك مرتبط دائما بكمية الوقت المتوفر لمثل هذه الأنشطة، فكلما اتسع وقت اللقاء والبقاء جماعيا ازدادت فرص التفاعل التي يتم فيه التعبير عن المشاعر وتبادل الآراء في أمور خاصة بالبيت وبأفراد الأسرة، وخلالها يتعرف الابن على مشاغل والديه واهتماماتهم ويتعرف الأب

[1] أحمد زايد: علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية، القاهرة، دار المعارف، ط1، 1981، ص450

هو بدوره على انشغالات أبنائه وعلاقاتهم الخارجية ومشاكلهم، فالتفاعل هو الذي يمنح العلاقات الأسرية روحها وشكلها، ومن خلاله تمرر الرسالة التربوية.

ومن هذا المنظور لا تقاس العملية التربوية الأسرية، وفي هذه الحالة، بنوعية التفاعل وأساليبه فقط بل بكمية الوقت الحر المتاحة لذلك بعد الوقت المخصص للعمل والواجبات والإشغال الضرورية، والأهم في كل ذلك ليس في كمية الوقت أو نوعية النشاط بل في كيفية صرف هذا الوقت ومدى إشباعه حاجات أفراد الأسرة مهما كان حجمه قليلا أو كثيرا، فقد تكون مدة الجلسة العائلية في البيت كبيرة ولكنها خالية من التفاعل الايجابي (أي بناء علاقات منسجمة متماسكة بين أفراد الأسرة) إذا كان كل واحد مشغولا بمفرده في مشاهدة جهاز التلفاز أو منشغلا في التواصل عن طريق الانترنت مثلا، أو الانعزال داخل البيت كل واحد في مكانه أو مع تواجد عناصر أجنبية عن الأسرة قد تُعيق التفاعل المباشر والفعال..الخ، وكل ذلك قد يحول الأسرة إلى ما يشبه القوقعة الفارغة خالية من العلاقات الحميمة والتواصل بين أعضائها.

بناء على ما سبق يبدو أن الأنشطة الأسرية يصعب حصرها هنا وتنميطها في فئات محددة لذلك سنكتفي بمعالجة أهمها حسب دراسة ميدانية بعنوان "واقع الأسرة الجزائرية" التي أُجريت على عينة من الأسر الحضرية بلغ عددها 754 أسرة اُختيرت من خمسة أحياء بالعاصمة الجزائرية هي: حي باب الوادي، بوروبة، عين النعجة، بوزريعة، بلوزداد (بلكور)[1] وتتمثل هذه الأنشطة في العناصر التالية:

أولا: رقابة الأبناء وصعوبتها

ثانيا: تنظيم وقت دخول الأبناء وخروجهم

ثالثا: التفاعل الأسري في الأوقات الحرة:

1. تعريف الوقت الحر

2 ـ التفاعل الأسري حسب الكمية الزمنية.

3. الحرص على مجالسة الأبناء.

4 ـ الجلوس حول مائدة الأسرة.

5 ـ الترويح الأسري

6 ـ اصطحاب الأبناء خارج البيت

رابعا – التنقل في البيئة الحضرية

---

[1] محمد بومخلوف وآخرون: واقع الأسرة الجزائرية، الجزائر دار الملكية للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام، ط1، فيفري 2008، ص ص45- 52

أولا: رقابة الأبناء وصعوبتها:

تعد مراقبة الأولياء أبنائهم منذ ولادتهم إلى غاية سن نضجهم من أهم العمليات التربوية الأسرية وقد تتصدر اهتماماتهم الأساسية، ولا شك أن معظم الأولياء يمارسون هذه الرقابة بكيفية أو بأخرى وبمستويات مختلفة ومتنوعة خلال حياتهم اليومية. وإذا كانت نماذج فعل المراقبة متنوعة ومجالاتها متعددة، فإن هذه الدراسة اقتصرت على ما تعلق بمراقبة الأبناء خلال متابعة دروسهم ومراجعتها، أو بالأحرى تحديد الصعوبات التي تواجه هؤلاء في أداء هذه الوظيفة التربوية. وعلى ضوء ذلك يمكن إدراك عملية التفاعل الأسري المباشر في الواقع الفعلي واليومي للأسرة الجزائرية العاصمية.

قُدرت نسبة الذين يجدون صعوبات في أداء هذه المراقبة في العينة المدروسة بـ 46.9 ٪ مقابل نسبة 51.7٪ للذين لا يجدون صعوبات في ذلك. ومع ذلك يمكن القول عموما وحسب النسبتين السابقتين أن هناك حرص من قبل الأولياء على مراقبة أبنائهم. والأهم هنا هو التعرف على الصعوبات التي تعترض أولئك الآباء أثناء مراقبتهم أبنائهم، فيلاحظ أن ما يقرب من نصف عدد الأسر المدروسة هنا تعاني من صعوبة مراقبة أبنائها لمتابعة دروسهم نتيجة لكيفيات عديدة تقف أمامها في ممارسة وظيفتها التربوية. أي أنها تعاني من ضغوط ما في حياتها اليومية. فما هي أهم هذه الصعوبات؟

جدول 1 طبيعة صعوبات رقابة الآباء على الأبناء عند متابعة دروسهم:

طبيعة الصعوبات	تكرار	٪❖❖
شؤون الحياة اليومية	178	50.28
ظروف العمل	165	46.61
ظروف السكن	118	33.33
مشكلة اللغة	103	29.96
المشاكل العائلية	56	15.81
التغيب عن البيت	52	14.68
أسباب أخرى*	28	7.9
مجموع الذين يعانون	354	-

❖❖ النسبة مستخرج من فئة الذين يعانون

❖ بالنسبة لـ "أسباب أخرى" تمت الإشارة من طرف المبحوثين إلى كثرة المواد، عدم استجابة الأبناء في الوقت الحالي للدراسة، ضعف مستوى الأب بالنسبة لأبنائه الجامعيين.

يلاحظ حسب الجدول السابق أن شؤون الحياة اليومية التي جاءت في المقام الأول تشكل أهم الصعوبات التي تواجه عملية رقابة الآباء أبنائهم عند متابعة دروسهم، بنسبة 50.28 ٪ بينما تحتل ظروف العمل المقام الثاني بنسبة مقاربة تقدر40.61 ٪، و معنى ذلك أن نصف عدد الأولياء في هذه الفئة يواجه صعوبة متعلقة بشؤون الحياة اليومية بالدرجة الأولى ثم بظروف العمل فظروف السكن. وأما المصرحين بالتغيب عن العمل والمشكلات العائلية يشكلون نسبتين مئويتين تقدران ب 15.8 ٪ و 14.68 ٪ على الترتيب.

وتدل هذه المتغيرات على أن الظروف الحضرية في الحياة اليومية الخارجية عن الأسرة هي المؤثر الأول ثم ظروف العمل المؤثر الثاني فظروف السكن المؤثرالثالث، بمعنى أنها تمثل أهم الضغوطات التي تمارس على الأولياء وتجعلهم عاجزين عن أداء فعل الرقابة المتعلقة تمدرس أبنائهم، وأكدت ملاحظات أخرى قدمها الأساتذة المربون بإحدى الثانويات خلال هذه الدراسة على وجود مثل هذه العوامل: فالمدّرس يشتكي من ضعف التعاون بينه وبين ولي التلميذ، واللقاء بينهما يكاد ينعدم ولا يطّلع الآباء على محتوى دروس أبنائهم إلا نادرا ولاسيما في مرحلة الثانوية، أما الأولياء فيرون أن تخصيص وقت لزيارة معلمي أبنائهم أمر غير ممكن، حسب هذه الدراسة للأسباب التالية:

أولا: أن لأغلب الآباء عددًا محددا من الأبناء يتراوح بين 3 و5 أفراد في المتوسط العام، تصعب معه زيارة مدرسيهم خاصة إذا كان معظمهم متمدرسين، وتزداد الصعوبة في حالة ما يكون أبناؤهم في مستويي المتوسط والثانوي من التعليم، إذ أنّ لكل تلميذ عددا معلوما من الأساتذة حيث أن كل أستاذ يتكفل بتدريس مادة أو مادتين في الغالب. ويمكن القول، بعد عملية حسابية بسيطة، بأن على الوليّ زيارة ما يقرب من عشرأساتذة أسبوعيا إذا كان له على الأقل ولدان يدرسان في المتوسط والثانوي، وهذا معناه تخصيص وقت فراغ أكبر أسبوعيا وحتى شهريا لإتمام هذه المهمة التربوية، الأمر الذي يصعب تنفيذه خاصة إذا كان الأب موظفا إداريا أو عاملا في مؤسسة عمومية ويعمل بالتوقيت العادي أي سبع ساعات يوميا، إضافة لذلك هناك تضارب في الوقت الذي غالبا ما يحدث بين الوقت الشاغر عند الولي أو الفرصة المتاحة له من ناحية وأوقات الزيارات المسموح بها في برنامج المؤسسة التعليمية من جهة ثانية، بمعنى إذا كان الوقت مسموح به يوم الثلاثاء مساء أو على الساعة "كذا" يكون الأب حينئذ متواجدا في عمله، في هذه الحالة يستحيل على الأب زيارة معلمي أبنائه مما يدفع الأمهات القابعات في البيت نحو التكفل بهذه المهمة أكثر من الآباء حسب نتائج هذه الدراسة.

ثانيا: قد يواجه الآباء مشكلات معرفية مرتبطة بمستواهم التعليمي من جهة وبنوعية تكوينهم من جهة ثانية، فنلاحظ مثلا أن نسبة 29.96٪ من العينة المدروسة (ثلث العينة تقريبا) تعاني صعوبات في فهم مضمون دروس أبنائهم كما صرح بعضهم بأن مشكلتهم

تكمن في الجانب اللغوي (العربية أو الفرنسية أو كلاهما معا)، ولو أن متغير اللغة لا يفسر مشكلة رقابتهم المتعلق بتمدرس أبنائهم، ولذلك أظهرت نفس الملاحظات أن كثيرا من الأولياء يتتبعون أبناءهم عن قرب وبحزم خلال المراحل الدراسية الأولى من التعليم، وتتراجع وتيرة تتبعهم هذا تدريجيا كلما تقدم أبنائهم في العمر وارتقوا إلى مستويات تعليمهم عليا حتى تكاد تنقطع نهائيا في السنتين الأخريين من التعليم الثانوي.

وبالنسبة للذين يواجهون صعوبات أقل في ممارسة رقابتهم على أبنائهم أو لا يجدونها إلا نادرا، فهم يعتمدون على آخرين يكلفونهم بالقيام بذلك في تجاوز هذه المشكلة حسب نتائج هذه الدراسة، قد يكون هؤلاء من أفراد الأسرة أو الأقارب، ولاسيما إذا كانت الأسرة تواجه ظروفا قاهرة في شئون الحياة اليومية أو ظروف العمل، لقد أظهرت الدراسة أن 60٪ من المبحوثين يعتمدون على زوجاتهم في مراقبة أبنائهم أثناء مراجعة دروسهم وهي النسبة العظمى، بينما يعتمد آخرون على أبنائهم الكبار ولكن بنسبة أقل تقدر بـ 28.24 ٪ (الثلث تقريبا) وهناك نسبة ثالثة تقدر ب16.44٪ التي تعتمد على أقارب آخرين في هذه العملية، وتبقى نسبة الذين امتنعوا عن الإجابة لاتتجاوز1.72 ٪ وهي ضعيفة جدا مما يؤكد بأن مراقبة الأبناء عند متابعة دروسهم أو مراجعتها تعد من أهم انشغالات الأولياء، وأن من يتولى هذه الوظيفة مباشرة بعد الأولياء هم الأخوة ثم الأقارب...الخ.

وكل ذلك يؤكد أن العائلة الجزائرية، في ظل التحولات الحضرية السريعة، ورغم ضغوطات المحيط الخارجي في الحياة اليومية فإنها ما تزال محافظة على شدة تضامنها وتعاونها، معتمدة على قوة روابطها الدموية وعلاقة التماسك والتضامن الأسري، إنه نوع من التحدي أمام أية ظروف طارئة مما يثبت كذلك أن الأسرة الجزائرية ما تزال متمسكة ببعض القيم الثقافية المعروفة كالتضامن والتعاون على الأقل في مستوى جيل الآباء. ويعد ذلك من الآليات التي تتبعها الأسرة في ظل صعوبات الحياة الحضرية وقلة المؤسسات الرسمية المعنية مما يدفع بها للجوء إلى نسق العلاقات العائلية التقليدية والاعتماد عليه في الحياة الاجتماعية الحضرية، وهي تعد كذلك آلية من آليات إعادة إنتاج العلاقات والأنساق الاجتماعية القديمة أو التقليدية.

خلاصة القول أن الأسر تهتم بمتابعة أبنائهم لدروسهم اهتماما كبيرا لكن معظمها يجد صعوبات في تنفيذ عملية المراقبة، وتتصدر شؤون الحياة وظروف العمل أهم العوائق في أداء تلك العملية، فتلجأ نسبة كبيرة منهم إلى مساعدة الأقارب عند هذه العملية مما يؤكد على رسوخ الروابط العائلية التقليدية الجزائرية.

ثانيا: تنظيم وقت دخول الأبناء وخروجهم

إن تنظيم دخول الأبناء بيوتهم وخروجهم منها، ووضع ما يشبه برنامج محدد لذلك مثلا وغير ذلك

كله يعبر عن مستويات التفاعل التربوي وأبرز صوره ومؤشراته، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على مدى اهتمام الكبار بالصغار وطاعة الصغار للكبار. فغالبا ما نلاحظ هذا النموذج من الاهتمام بالوقت وبرمجته في المجتمعات الحضرية، ولاسيما في المدن الكبرى ذات الكثافة السكانية العالية، يرتكز قبل كل شيء على تنظيم الأسرة أنشطة أفرادها اليومية حسب الأوقات المتاحة لهم، أو ما يمكن أن يصطلح عليه في العلوم الاجتماعية "بعقلنة" الحياة الاجتماعية أو ترشيد أوقاتها الذي عُرفت به المجتمعات الصناعية المتطورة. إنها نوع من البرمجة المقصودة لأوقات الدخول والخروج من المنزل، وبفعل تكرارها اليومي أو الأسبوعي تتحول هذه الأفعال الاجتماعية إلى نوع من السلوك الاجتماعي الروتيني ثم تضحى مع مرور السنين ثقافة يتميزون بها عن غيرهم. وما دامت الثقافة تضم مجموعة معايير وقيم اجتماعية، كما يرى علماء الاجتماع الثقافي، فإنها تنقل من جيل إلى جيل عبر التربية والتنشئة الاجتماعية[1].

ومن المعلوم أن الأسرة هي المؤسسة الأولى التي تُنقل فيها هذه الثقافة وتكتسب، أي ثقافة تنظيم الوقت من الآباء إلى أبنائها وأن الأولياء هم أولو بمن يتكفل بتلقين أبنائهم هذه العملية منذ نعومة أظفارهم وإلى غاية مرحلة الشباب، وخاصة أثناء حياتهم الدراسية، ويبدو أنه كلما كان رب الأسرة حريصا على أداء هذه المهمة التربوية كلما كان التفاعل داخل الأسرة متماسكا وقويا، والعكس صحيح أيضا. لقد بينت الدراسة السابق بأن الأولياء حريصون على تنظيم أوقات أبنائهم بنسب مرتفعة جدا ولاسيما التي تخص البنات، حيث بلغت 87.3 ٪ للذين يحرصون على تنظيم أوقات دخول بناتهم وخروجهن من البيت مقابل نسبة ضئيلة جدا لا تتجاوز5.8 ٪، لا تحرص على ذلك، أما حرص الآباء في هذه العملية تجاه أبنائهم الذكور فلا تتعدى نسبتهم 68.3 ٪ مقابل 20.6٪ لا يهتمون بذلك. أي أن كل 15 أسرة هناك واحدة فقط لا تحرص على تنظيم خروج بناتها، ومن بين 7 أسر هناك أسرتان لا تحرصان على تنظيم خروج أبنائهما من الذكور.

لماذا هذا التباين في الحرص على مراقبة الأبناء حسب الجنسين"؟ يمكن تفسير ذلك بمؤشرين اثنين:

أولاهما: أن الأسرة حسب عينة الدراسة ما زالت محافظة على قيمها الاجتماعية والدينية ومعتقداتها، وموقع الأنثى متميز داخل منظومة القيم، وأن المجتمع ما يزال مجتمعا "رجوليا" بحيث يتمتع الرجال بخصوصيات ثقافية دون النساء في كثير من مناحي الحياة الاجتماعية، فهناك أماكن وأوقات تخص الرجال دون النساء، ورغم التصور الظاهري للمساواة بين

[1] محمد السويدي: مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1991 ص 76- 77.

الجنسين وتقليدهما أنماط ثقافية غربية، إلا أن الأنماط الثقافية المحلية العريقة الخاصة بالمجتمع الجزائري ما تزال راسخة ومهيمنة.

وثانيهما: من المحتمل أن كثير من الأسر بالجزائر العاصمة مرتابة ممّا يحدث في المدينة وينسج حياتها اليومية، فأغلبها لا يطمئن، على الأقل، إلى مختلف العلاقات الاجتماعية المتنوعة في مجتمع معقد ومتعدد التراكيب، فالمدينة واسعة ايكولوجيا من الصعب التنقل فيها بسهولة والكثافة السكانية مرتفعة وغير متجانسة، وليس من السهل التعامل مع أفرادها وفق معايير متفق عليها خاصة بعد "الأحداث المريرة" التي مرت بها الجزائر خلال التسعينيات وعرفت خلالها هجرة مكثفة للناجين من ويلات الإرهاب نحو العاصمة وضواحيها من المناطق الريفية وشبه الريفية التي كانت مسرحا لتلك الأحداث، ومعنى ذلك أن تنوعا سكانيا وتباينا ثقافيا قد حدث وفي فترة وجيزة للأسباب المذكورة أعلاه.

وقد يؤدي اللاتجانس السكاني في بعض العناصر الثقافية إلى اختلال تنظيمي في العلاقات الاجتماعية وعدم الانسجام والتوافق بين أفراد الحي الواحد في المدينة مما ينعكس على سلوكهم وتفكيرهم، وقد يفرز صعوبة تكيفهم مع البيئة الحضرية فلا يمتثلون للمعايير والقيم السائدة، بل ينتج ذلك ظواهر سلبية مثل الصراع والعنف والانحراف والإغراب والاغتراب، وغالبا ما تمس هذه الظواهر الخطيرة والسلبية شريحة الشباب والمراهقين بالدرجة الأولى ال<ين يقعون عادة ضحية تعاطي المخدرات والتدخين ويجنحون إلى العنف والاعتداء على الأشخاص والسرقة والجنس..الخ، إلى درجة يمكن القول معها أن بعض سكان العاصمة أضحوا متشككين في علاقاتهم الاجتماعية وشديدي الحذر غير مطمئنين إلى محيطهم الاجتماعي، ولعل هذا ما يفسر مدى حرص الأولياء على تنظيم أوقات خروج أبنائهم ودخولهم، ويشتد هذا الحرص إذا ما كانوا صغارا ويقل تدريجيا مع تقدم سنهم إلى درجة اللامبالاة أو الإهمال نسبيا لدى الآباء إذا ما وصل أبناءهم سن الشباب، وهذا ما أكده رئيس جمعية أولياء إحدى الثانويات في مقابلة معه خلال هذه الدراسة حيث يرى بأن اهتمام الأولياء بأبنائهم يتضاءل تدريجيا مع تقدم عمر أبنائهم وصعودهم إلى مستويات تعليمية أعلى أي مرحلة النهائية من الثانوية.

لكن هذه الظاهرة تبدو عامة ولا تخص الأسر الحضرية بالعاصمة الجزائرية فقط بل هي موجودة بالفعل حتى في المجتمعات الغربية، فقد كشفت دراسة أوروبية تخوف الأولياء من المحيط الذي صار مجالا ينتج الانحرافات الشائعة بين المراهقين كالتدخين المخدرات والحرية الجنسية وطريقة اللباس والأناقة التي يحبذها المراهقين كتعبير عن شخصيتهم وإثباتها ضمن

جماعات انتماء خارج الأسرة.[1]

ثالثا: التفاعل الأسري في الأوقات الحرة:

1. تعريف الوقت الحر:

جاء في المثل العالمي "الوقت مال" على اعتبار الوقت جزءًا من متغيرات العملية الاقتصادية والحسابات التجارية والمصرفية بحيث يمكن قياسه مثل النقود تماما، لذلك جاء مصطلح "ميزانية الوقت" Budget-temps المعبر عنه في العلوم الاجتماعية ضمن القضايا المهمة في حياة الأسرة الحديثة، وخاصة في المجتمعات المتقدمة، لا تضاهيه سوى ميزانية الدخل الأسري، ولاسيما إذا كان رب الأسرة عاملا أو أجيرا يوميا ويقطن في مدينة ذات كثافة سكانية عالية (كالجزائر العاصمة)، أو بالأحرى يعتبر الوقت رأسمال يمكن استثماره في مجال الأنشطة الأسرية وخصوصا في التربية إذا ما توفرت الظروف المناسبة له واستخدمت الحسابات العقلانية لتوفيره واستثماره استثمارا منطقيا، غير أن تلك الظروف قد تؤثر سلبا وباستمرار على رب الأسرة فتجعله غير مكترث بوقته الحر واليومي المتبقي بعد ساعات العمل المهنية اليومية.

وينبغي الإشارة في هذا المجال إلى أن كثير من الأبحاث الاجتماعية الغربية بدأت منذ منتصف القرن الماضي تهتم بالوقت الحر الخاص بالعمال وميزانية صرفه في مجال الترفيه أو في الشؤون الأسرية والمنزلية، وقد عُرِّف "الوقت الحر" le temps libre تعريفا إجرائيا خلال دراسة دولية أوروبية مقارنة بأنه "الزمن الباقي من ميزانية الوقت اليومي الـ 24 ساعة بعد العمل الرسمي، وهو الوقت المخصص للأشغال المنزلية والحاجات الفسيولوجية"[2]، ووضعت دراسة أخرى هذا الوقت الحر في ما تبقى من ميزانية الوقت ليوم كامل، حسب استقصاء شمل عينة من العمال ذوي وظائف رسمية في البلدان الشرقية الأوروبية مقسم إلى أربعة أقسام[3]:

- وقت العمل الرسمي(أي المهني)
- وقت الأعمال المنزلية(الطهي، التنظيف..الخ)
- وقت الضرورات البيولوجية(الأكل، النوم..)
- الوقت الحر(أي الذي يكون خارج التقسيمات السابقة).

يلاحظ أن الوقت الحر الذي يخص الأب العامل اليومي، مثلا، هو ذلك الوقت المتبقي من أوقات عمله اليومي وما يتعلق بها من نقل وواجبات ضرورية اجتماعية وفسيولوجية، بمعنى أن

(1) Michèle Giacobbi: Initiation à la sociologie, Paris, Hatier, 1990, p27

(2) Marie-Françoise Lanfant: Les théorie du loisir, Paris, P.U.F,1972, p 228

(3) Ibid., p28

للأب الحرية في صرفه بالكيفية التي يراها مناسبة له ومفيدة وعقلانية بحيث يمكنه تخصيص جزء منه في تربية أبنائه والاهتمام بشؤونهم، وجزء آخر للراحة والتسلية والترفيه الأسري، وجزء ثالث لقضاء بعض شؤون البيت الخارجية كالتسوق، الذهاب إلى مؤسسات المرافق والخدمات والبريد، الإدارات..الخ، ومن الواضح هنا أن الأنشطة التي يمكن أن تشغل الوقت الحر عديدة ومتنوعة قد يصعب على أي باحث حصرها كلها، لذلك عمدت هذه الدراسات إلى تحليل بعض منها وهي الجلسات الأسرية، ومجالسة الأبناء في البيت، وتناول الوجبات الغذائية الجماعية والترويح الأسري وقضاء العطل واصطحاب الأبناء خارج البيت..الخ

2. التفاعل الأسري حسب الكمية الزمنية:

من خلال الجدول التالي سنحاول التعرف على الحجم الزمني للتفاعل الأسرى اليومي:

جدول2 المدة الزمنية التي يقضيها الولي مع أبنائه يوميا محددة بالساعات:

بيان المدة	ك	٪
أقل من ساعة	8	1.1
1 – 2 ساعة	22	2.9
2 – 3 ساعات	43	5.7
3- 4 ساعات	54	7.2
4- 5 ساعات	104	13.8
5- 6 ساعات	164	21.7
6- 7 ساعات	57	7.6
7 ساعات فأكثر	136	17.2
أخرى	78	10.5
بدون تحديد	88	11.7
المجموع	754	100

إن الغالبية العظمى، حسب الجدول أعلاه، استطاعت تحديد عدد الساعات التي تقضيها يوميا مع أبنائها وأجابت على السؤال السابق بنسبة 88.32 ٪ (مقابل نسبة11.7٪ بدون تحديد)، وأما كمية الوقت الساعية السائدة فهي تتراوح عموما بين أربع إلى أكثر من سبع ساعات يوميا، والقليل منهم من يقتصر على أقل من ساعة في الجلوس مع أبنائه يوميا. أما النسبة الغالبة التي تمضي بين خمس وست ساعات في البيت فتقدر بـ 21.7 ٪ مقابل نسبة ضئيلة جدا

تصل إلى 1.1٪ التي تقضيها في أقل من ساعة. لكن الذين يقضون تلك الفترة في 7 ساعات وأكثر يمثلون هم كذلك نسبة معتبرة تقدر بـ 17.2٪.

عموما يبدو أن أغلبهم يقضي من 4 إلى أكثر من 7 ساعات يوميا مع أبنائه، وتبدو هذه الكمية الزمنية منطقية إذا ما علمنا شكل الظروف السوسيومهنية التي يوجد فيها الآباء والأمهات، فالأغلبية الساحقة لا تمارس عملا إضافيا ولا تتغيب كثيرا عن البيت كما جاء في هذه الدراسة، (فضلا عن نسبة معتبرة من الآباء المتقاعدين مقدرة بـ 14.5 ٪). إن الظروف السوسيومهنية تعكس هذه المدة بحيث أن الأغلبية الساحقة من الآباء يعملون في القطاعات التي تبدو موفرة للوقت الحر ولاسيما في القطاع العمومي حيث يكون الوقت محددا ومنظما بدقة، وقد لوحظ في هذه الدراسة أن أغلبية الآباء يعملون في الإدارات أولا ثم الخدمات، أما الأمهات العاملات فأغلبهن يعملن في مجال التدريس أولا ثم الإدارة ثانيا فالخدمات ثالثًا، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تبدوا أن المهن المذكورة تعكس خصوصيات شخصية أصحابها فهم متعلمين أولا ومتعودين على الالتزام بالوقت وتقنينه ثانيا.

وإذا كان الأولياء يملكون أوقات حرة بعد العمل، فهل هم يحرصون على قضائها مع أولادهم وفي بيوتهم؟ نحاول الإجابة عن ذلك فيما يلي:

3. الحرص على مجالسة الأبناء:

عادة ما يجلس الأب مع أبنائه في البيت وقد يحدث ذلك يوميا إذا ما لم يكن يشتغل بعيدا عن البيت أو يتغيب لضرورة مهنية، ويبدوا هذا بديهيا لكن الأهم في ذلك هو معرفة كيفية تكوين علاقة تفاعل ايجابية في تربية الأبناء وليس العكس، ونعني بذلك تضمين الجلسة الأسرية محادثات وحوارات بينية تتعلق بقضايا الأطفال المدرسية وانشغالاتهم اليومية، بحيث تتبلور في ذهن الولي صورة واقعية عن أبنائه من ناحية، وينجذب الأبناء هم بدورهم نحو أبويهما من ناحية ثانية. ولا ريب أن هذه التفاعلات حينما تتكرر يوميا في غالب الأحوال ترسم إيقاع الحياة اليومية وتعبر بالفعل عن معنى التنشئة الاجتماعية الأسرية والوظيفة التربوية الأسرية وتفاعلها الداخلي

جدول3 حرص الآباء على توفير فرص التحاور مع أبنائهم:

الحرص على التحاور	التكرار	٪
يحرص	632	83.8
لا يحرص	113	15
بدون إجابة	9	1.2
المجموع	754	100

يتضح من الجدول أعلاه أن الأغلبية الساحقة تحرص على توفير تلك الفرص للجلسات الأسرية بنسبة تقدر بـ83.8 ٪ مقابل نسبة ضئيلة لا تتجاوز 15 ٪ التي لا تحرص على ذلك*. وتدل هذه النتيجة على اهتمام الأولياء الفعلي بالعمل على توفير ما أمكن من الوقت للجلوس مع أفراد الأسرة، أمّا الأقلية الباقية التي لا تعمل على استغلال تلك المناسبة فذلك لا يعني أنها لا تجالس أبناءها خلال مناسبات غير معلومة، لكن الحرص على عملية مجالسة الأبناء لا بد أن يعكس معناه عند الفاعلين، مثلما يؤكده ذوو الاتجاه الفكري التفاعلي.

4. الجلوس حول مائدة الطعام:

يمثل الجلوس حول مائدة الطعام بالبيت أهم الفترات السانحة التي عادة ما يلتقي فيها الآباء بأبنائهم، كفطور الصباح ووجبة الغذاء فقهوة المساء (أو اللمجة) فوجبة العشاء. إنها فرص حقيقية للتفاعل الأسري الداخلي المباشر ومتكررة في نشاطها الاجتماعي، فخلالها يتبادل أفراد الأسرة الحديث عن المستجدات اليومية وتعرض اقتراحات وتوجيهات ونصائح لحلول مشكلات فضلا عن جو المرح والتسلية الذي يسود تلك الفترات..الخ، و قد يرتبط كل ذلك بعادات العائلة الجزائرية وتقاليدها وبخصوصياتها الثقافية التي تتميز بها كل أسرة عندما نلاحظ عدم تجانس سكان العاصمة من حيث أصولهم المجتمعية (الريفية، والحضرية وشبه حضرية) أو الجهوية أي حسب مناطق القطر الجزائري المتنائية عن بعضها البعض (الساحلية والصحراوية والشرقية والغربية..الخ).

* كان فحوى السؤال الموجه الى العينة وتعدداها 754 وليا: هل تعمل على توفير فرص الجلوس والحديث مع أبنائك؟ كانت الإجابة تكاد تكون مطلقة. انظر. محمد بومخلوف وآخرون: المرجع السابق ص 181

ولوصف هذا النوع من التفاعل كما وكيفا نتفحص الجدول التالي:

جدول4 بيان الوجبات الغذائية التي يتناولها الأب مع أبنائه:

	غالبا		أحيانا		نادرا		بدون جواب		المجموع	
	ك	٪❖❖	ك	٪❖❖	ك	٪❖❖	ك	٪	ك	٪
فطـــــور الصباح	4463	**661.4❖**	1149	119.8	1109	**114.5**	333	44.4	7754	1100
وجبة الغذاء	2292	338.7	2236	331.3	1177	223.5	449	66.5	7754	1100
قهوة الساعة الرابعة	3301	339.9	2210	227.9	1188	217.9	555	77.3	7754	1100
وجبة العشاء	6655	**886.9**	555	77.3	330	**44**	**114**	**11.9**	7754	1100

❖❖ النسبة المئوية مستخرجة من العينة الكلية

يتبين لنا حسب الدراسة المذكورة أن الجلوس "لوجبة العشاء" هي أهم مناسبة يلتقي فيها الآباء بالأبناء في أغلب الأحيان بنسبة قصوى بلغت 86.9 ٪، فمن النادر أن يتناول الأب العشاء بعيدا عن بيته إلاّ عند أقلية ضئيلة نسبتها لا تتجاوز04 ٪، غير أن وجبة الفطور في غالب الأحيان إحتلت المرتبة الثانية من حيث الأهمية إذ تصل نسبتها 61.4 ٪ مقابل نسبة ضئيلة تقدر بـ 14.5٪ التي لا تتناول هذه الوجبة إلا نادرا. أما وجبتي "الغذاء" و"قهوة الساعة الرابعة" متقاربتان من حيث نسبتيهما أو تكرارهما مع التنبيه أن الفروق في النسب ضئيلة عند قراءتها عموديا.

فلماذا جاءت وجبة العشاء في المحل الأول وفطور الصباح في المحل الثاني واستثنيت وجبة الغذاء هذا الصدد؟ يرتبط الجواب عن هذا التساؤل بأثر الظروف الخارجية على أنشطة رب الأسرة، فإذا كان الأب يعود بالضرورة إلى البيت مساء والبقاء فيه إلى غاية الصباح، أي إلى ما بعد فطور الصباح، فالراجح أنه يتناول وجبتين جماعيا مع أطفاله، بيد أن حضوره غير ممكن خلال منتصف النهار بسبب ظروف العمل من جهة وظروف المواصلات من جهة ثانية التي لا تسمح بذلك إلا للقليل منهم. وباستثناء أولئك الذين يمارسون نشاطهم المهني قرب بيوتهم أو بجوارها في الحي كتجار أو حرفيين وموظفين في "البلديات"..الخ. ولا ريب أن تكرار مثل هذه الضغوط يوميا وعلى المدى الطويل في حياة الفرد قد يقلل من فرص التفاعل بين الآباء والأبناء.

5 . الترويح الأسري:

شغل موضوع قضاء وقت الفراغ "أو الأنشطة الترويحية" اهتمام كثير من الباحثين الغربيين الذين اعتبروا أن العصر القادم هو عصر الترويح والرفاهية كما تنبأ جان فورستيي Jean Fourastie [1] كذلك منذ عدة عقود مضت، بعد التطور التكنولوجية والعلمي والاقتصادي الهائل الذي شهدته تلك الدول، ولكن مفهوم الترويح بقي محل نقاش وجدل في كيفية تحديده ليس على أساس الوقت الحر المخصص له بل من حيث نوعية الأنشطة التي تعتبر ترويحا أو واجبا مفروضا أو عملا ضاغطا، ومع ذلك فإن أغلب الباحثين الغربيين يعتمدون على التعريف الذي قدمه جوفر دومازوديي J.Dumazedier، المتخصص في سوسيولوجية الترويح الذي يعرفه بأنه "جملة من الانشغالات التي يتفرغ لها الفرد برغبته الخاصة كي يرتاح أو يتسلى أو ينمي معرفته وتكوينه الذاتي المنزه، أو للمشاركة الاجتماعية الإرادية وتحرير قدراته الخلاقة، بعدما يكون قد تخلص من الواجبات المهنية والعائلية والاجتماعية[2]

يحمل هذا التعريف ثلاث قضايا أساسية للنشاط الترويحي هي الراحة والتسلية والتعلم (أو التكوين أو التثقف) وكلها تتم برغبة من قبل الفرد دون ضغوط أو إكراه ولو أن عادة ما تكون وراء تلك الأنشطة أهداف نفعية وترفيهية مسلية في آن معا، أي قد تكون للفرد دوافع ترويحية وتعليمية ورغبة في المعرفة الإنسانية وإشباع حاجته في نفس الوقت خاصة، وأن التغيرات الاجتماعية تفرز حاجات جديدة مرتبطة بالصناعة والتكنولوجية فصار الناس يلهثون وراء اقتناء كل ما هو جديد والسعي نحو اكتشاف مجتمعات أخرى كما استخلصه باحثون مثل اقتناء الوسائل السمعية البصرية أو السفريات نحو مناطق جديدة للتثقيف والتعرف على أناس آخرين وعلى عاداتهم وتقاليدهم..الخ[3].وبالفعل فإن الترويح المعاصر مرتبط بالواقع المعيشي في الحياة الحضرية المعقدة وما تملكه من وسائل تقنية مستخدمة في عملية الترفيه ذاتها مثل السيارة والتلفزيون والانترنت.. وكل الاختراعات الأخرى التي صنعت من اجل استغلالها في رفاهية الإنسان ولكنها في نفس الوقت تغير من نمط حياته وأسلوب عيشه كما تخلق في نفسه حاجات جديدة باستمرار الأمر الذي جعلته يسعى دوما نحو إشباعها دون توقف. وفي هذا الصدد يرى ج. دومازوديي[4] أن ظاهرة الترويح الأسري المعاصر تجد قوتها الأساسية في تطور القيم وفي البناءات المرتبطة بالحضارة التقنية ونتائجها الاجتماعية، وفي نفس الوقت

---

[1] Jean Fourastie: Des loisirs pour quoi faire? Belgique, Casterman, 1970, p46

[2] Michel de Coster & et François Pichault: Le Loisir en 4 démentions,Bruxelles, Eds Labor,1985, p7

[3] - أحمد الجلاد، البيئة وجغرافية الترويح وأوقات الفراغ، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 1998، ص.36

[4] - Joffre Dumazedier: Vers une civilisation du loisir? Paris, Eds. Du Seuil, 1962, p.107

تشهد تراجع الحفلات التقليدية وطرق التسلية القديمة، ولكنها أضحت أكثر ارتباطا بتطور وسائل النقل والوسائل السمعية البصرية..وغيرها التي صارت ضمن مكونات البيت الأسري.

من وراء هذه الأطروحة الفكرية سنحلل أهم الأساليب التي يتبعها أولياء الأسر بالجزائر العاصمة عند مصاحبة أبنائهم لهم في أوقات فراغهم والكيفية التي يقضون بها عطلهم والمناسبات وفق المعطيات الميدانية في الدراسة المذكورة.

6. اصطحاب الأبناء خارج البيت:

يقصد باصطحاب الآباء لأبنائهم خارج البيت تلك الفترات الزمنية التي يخصصونها لقضاء حاجات الأسرة خارج البيت ولكنهم يرافقون أبناءهم معهم لغرض تربوي وترويحي في آن معا، كالذهاب إلى السوق أو يقصدون مؤسسات إدارية ومصالح عمومية..الخ، وتمثل كلها فرصا يصاحب خلالها الأب (أو الأم) أبناءه ويؤدي دورا تربويا عبر ما ينقل من خبرات ميدانية مباشرة إلى ذهن ولده، مثلا، في كيفية التعامل مع الناس ومحادثتهم وكسب احترامه وغيرها التي تدخل في صميم التجربة اليومية على مسرح الحياة الاجتماعية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى عادة ما يحب الأطفال مصاحبة الكبار عند الخروج إلى هنا وهناك ويعتبرونها بلا ريب متعة يحبذنها وينشدونها.

جدول 5 حرص الآباء على اصطحاب الأبناء عند قضاء حاجاتهم العامة:

درجة الحرص	التكرار	٪
شديد الحرص	207	27.5
قليل الحرص	382	50.6
أحرص	143	19
بدون إجابة	22	**2.9**
المجموع	754	100

كشفت الدراسة السابقة أن أغلب الآباء كانوا قليلي الحرص على اصطحاب أبنائهم عند قضاء حاجاتهم العامة بنسبة مئوية تقدر بـ 50.6 ٪، [*] ومع ذلك تبدو لنا نسبة الذين هم شديدي

[*] في دراسة مشابهة قام بها ج. دومازوديير في مدنية أنيس Annecy الفرنسية كشف بأن نصف أرباب الأسر في هذه المدينة يخرجون للترفيه مرة على الأقل في كل أسبوع. ويشكل الخروج الى السينما 52٪ من تلك الحالات الأسرية أو الزوجية. وكذلك الخروج الى الهواء الطلق وخاصة بعد أن ساد امتلاك السيارات والدرجات، وأخيرا شكلت الخروج لقضاء العطل في كثير من الحالات في الترفيه الأسري انظر Joffre Dumazedier: op cit, p.109

الحرص معتبرة حيث بلغت 27.5 ٪، مقابل نسبة الذين لا يحرصون أبدا التي تبلغ 19٪ وهذا ما يجعلنا نتساءل عمّا هي الظروف التي منعتهم من مرافقة أبنائهم لهم؟

عند إدخال متغير مستوى الأب التعليمي يلاحظ عموما بأنه كلما ارتفع مستواه التعليمي كلما زاد حرصه على اصطحاب أبنائه معه عند قضاء حاجاتهم العامة، أي أن الآباء الذين لهم مستوى جامعي هم أكثر حرصا من غيرهم إذ بلغت نسبتهم 36.7 ٪ بينما بلغت نسبة الأميين 9٪ مرورا بذوي المستوى الثانوي 29.2 ٪ فالمتوسط 27.1 فالابتدائي 21٪.

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن مستوى الأب التعليمي مؤشر إلى عوامل كثيرة متفاعلة منها مستوى الوعي والمستوى الاقتصادي للأسرة، أي أن الحرص على مصاحبة الأبناءعادة ما يكون نابعا عن خبرة مكتسبة من التعليم وأن الذين لهم مستوى عال من التعليم غالبا ما يمثلون الطبقة المتوسطة الذين لهم دخل اقتصادي أفضل من الأميين الذين غالبا ما يشكلون الطبقة الدنيا في المجتمع إلا في حالات استثنائية فريدة التي لا يقاس عليها.

ومع ذلك يبقى السؤال مطروحا حول هذه المسألة حينما نتكلم عن أيام العطل، فإذا كان الأولياء قليلي الحرص عامة على اصطحاب أبنائهم في الأيام العادية فهل هي كذلك في أيام العطل والمناسبات ؟

بينت هذه الدراسة أن للعطل والمناسبات أهمية خاصة ومميزة عند الأغلبية الساحقة من الأولياء بنسبة 98.1٪ (الذين أجابوا عن السؤال)، وكانت الأغلبية منهم تحرص على استغلال أيام العطل لقضائها مع أفراد أسرهم بنسبة تصل إلى 82.2 ٪ مقابل نسبة ضئيلة لا تتجاوز 15.9 ٪ فقط التي لا تحرص على ذلك، وتشير هذه النتيجة إلى أن أكثر من أربعة آباء من كل خمسة يحرصون على قضاء عطلهم مع أسرهم من أجل تقوية علاقاتهم الشخصية مع أبنائهم.

ويُستخلص من كل ذلك نتيجتان مختلفتان لكنهما غير متناقضتين فمن من جهة يظهر أن الآباء لا يحرصون على اصطحاب أبنائهم أثناء قضاء الشؤون العامة خارج البيت في الأيام العادية، ومن جهة أخرى يحرصون على قضاء عطلهم والمناسبات معهم، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن كمية وقت الفراغ المتاحة هي العامل الأساسي في كل ذلك، فكلما كان هذا وقت الفراغ متسعا كان الحرص شديدا من قبل الأولياء على أداء هذه العملية، لكن دون أن ننسى تأثير المستوى التعليمي أيضا في هذا الصدد.

لكن ما هي الكيفية التي يقضون بها عطلهم أي بالنسبة للذين أجابوا بالإيجاب؟

جدول 6 كيفية قضاء العطل مع أفراد الأسرة:

كيفية قضاء العطلة	التكرار	٪❖
زيارة الأقارب	404	65.16
الذهاب إلى البحر	271	43.70
زيارة الريف	225	36.29
الذهاب إلى الأماكن العمومية و الحدائق	217	35
زيارة الأماكن التاريخية و المتاحف	98	15.80
السفر إلى الخارج	65	10.48
أخرى	20	3.22
مجموع الإجابات	1300	-
مجموع الحريصين	620	-

❖ النسبة مستخرجة من مجموع الحريصين فقط.

تعد زيارة الأقارب بمرافقة أفراد الأسرة ـ حسب الجدول السابق ـ من أهم الطرق التي تقضي الأسرة الجزائرية بها أوقات فراغها وتمثلها نسبة 65.16 ٪ من الأولياء الذين صرحوا عن كيفية قضاء عطلهم، أي أنه في كل أسرتين هناك واحدة أو أكثر تفضل زيارة الأقارب خلال العطل. والواضح أن هذه الظاهرة تكاد تكون سائدة في الوظيفة الأسرية والأكثر ممارسة في حياتها حسب العينة المدروسة، وقد تعني هذه النتيجة عدة دلالات:

ـ تعبر عن شدة ارتباط الأسرة الجزائرية بأقاربها من العائلة الكبرى والمحافظة على المعايير القديمة للتماسك الاجتماعي التقليدي المعروفة في المجتمع الجزائري، بالرغم من انتشار أنماط أخرى من الثقافية الحضرية.

ـ إن زيارة الأقارب لا تكلف من الناحية المادية الشيء الكثير مقارنة بالوسائل الأخرى لقضاء العطل كالسياحة والسفر..التي تكلف رصيدا ماليا ووسائل سفر، وربما هذا لا يتناسب مع الأسر ذوات الدخل الضعيف التي تشكل الأغلبية الساحقة في هذا المجتمع المدروس، ومما يؤكد ذلك أن نسبة 10.48 ٪ فقط من الأسر التي تفضل السفر نحو خارج الوطن.

ـ غير أن الذهاب إلى البحر وزيارة الريف ظهرت من بين الممارسات الهامة أيضا في النشاط الترويحي للأسرة الجزائرية الحضرية إذ بلغت نسبة الأسر التي تقضي عطلها على شاطئ البحر 43.70 بـ ٪ وتقترب منها نسبة الذين يزورون الريف بـ 36.29٪.

أما الآباء الذين لا يحرصون على قضاء عطلهم مع أبنائهم فعددهم قليل جدا ولا تتجاوز نسبتهم 15.9٪ أي يمثلون سدس الأسر المبحوثة. فما هي الظروف التي جعلتهم لا يغتنمون فرص العطل في مرافقة أبنائهم إلى حيث الراحة والتسلية ؟

جدول 7 أسباب ضعف اغتنام فرصة العطل لتكثيف علاقات مع الأبناء (بالنسبة لفئة غير الحريصين)

الظروف المانعة	تكرار	٪
قلة الإمكانيات المادية	43	35.83 *
ضيق الوقت (ليس لديه وقت فراغ)	35	29.16
قضاء الحاجات العائلية و المنزلية •	7	5.83
تفضيل الجو العائلي في البيت	6	5
الخلود إلى الراحة جراء التعب	5	4.16
أخرى	19	15.83
مجموع غير الحريصين	120	100

تمثل قلة الإمكانيات المادية المانع الأول المانع من اغتنام العطل كفرصة لاصطحاب أبنائهم نحو قضاء العطلة بنسبة 35.83 ٪ ، وهي نسبة الآباء الذين يتذرعون بقلة الإمكانيات المادية والمالية ، وهذا يؤكد ما سبق استنتاجه بأن من عوامل اختيار الأب زيارة الأقارب عند قضاء عطلته مع أسرته تعود إلى انخفاض التكلفة المادية اللازمة لذلك.*

ويعتبر ضيق الوقت كذلك المانع الثاني بنسبة 29.16 ٪ ، بينما الرغبة في الخلود إلى الراحة بعد العمل المهني كانت أقل فعالية بحيث لا تتجاوز نسبة الذين ذكروها 4.16 ٪ وهي أقل نسبة على الإطلاق.

---

* النسبة مستخرجة من مجموع فئة غير الحريصين

• قضاء الحاجات الأسرية: أشار بعضهم إلى اغتنام الفرصة لمراجعة الدروس ومراقبتهم، والانشغال بأولويات أخرى

* في دراسة مصرية مشابهة كشفت أن هناك مجموعة عوامل مترابطة تؤثر في علاقة الأسرة بوقت الفراغ، وان نمط اهتمام الأولياء بأمور الطلاب في قضاء وقت فراغهم مع أسرهم يختلف باختلاف طبيعة عمل الآباء ومستوياتهم الاجتماعية الاقتصادية ومستواهم الثقافي او التعليمي فضلا عن فرص المشاركة الاجتماعية المتاحة للأسرة.وعموما لوحظ انخفاض نسبة الآباء الذين يحرصون دائما على قضاء أوقات فراغهم مع أسرهم (29.35٪). ومع ذلك فإن نسبة لا يستهان بها قدرها (51.39٪) يحرصون أحيانا على قضاء وقت فراغهم مع أسرهم. ولعل هذا النمط يكشف عن تأثير الوضع الطبقي الاقتصادي من جهة، ومستوى الوعي الثقافي من جهة أخرى وأن ازدياد الأعباء الأسرية يفرض مزيدا من الجهد في العمل من اجل توفير الاحتياجات الأساسية فضلا عن الإرهاق والتعب المتراكم يقلص الاهتمام بوقت الفراغ والاستعداد له انظر: محمد على محمد: وقت الفراغ في المجتمع الحديث، بيروت، دار النهضة العربية، 1985، ص.ص 257- 258

نستنتج مما سبق بأن العطل والمناسب هي من أهم الفرص الزمنية التي يتفاعل فيها أفراد الأسرة عند قضائها جماعيا ـ أي الآباء مع الأبناء ـ وغالبا ما يتجه هذا التفاعل نحو تجديد الروابط القرابية ويُستثمر في توطيد العلاقات الاجتماعية العائلية على الخصوص بالزيارات العائلية والمشاركة في الأفراح والمناسبات أما البعض الآخر فيخلد إلى الراحة.

تكمن الأبعاد الممكنة في تفسير كيفية قضاء العطل الأسرية في عاملين أساسيين هما:

التكلفة المادية والمالية أولا، وثانيا اعتبار الولي العطلة فرصة وحيدة لراحته التي تعنى القبوع في البيت والتخلص من التعب والملل والروتين الذي عرفه خلال أيامه المهنية، لكنه في نفس الوقت يحرم أبنائهم من الترويح في العطل إلاّ ما تعلق بزيارة الأقارب.

رابعا – التنقل في البيئية الحضرية:

عادة ما يمارس كثير من الآباء أنشطة روتينية متعلقة بحياتهم المهنية خاصة إذا كانوا عاملين في وظائف رسمية وفي قطاعات تأخذ من وقتهم اليومي ثلثه أو يزيد، فضلا عن الوقت المستغرق في النقل بين البيت والعمل، ولعل ذلك ما جعل أوقات العمل المهنية أوقات مرهقة ومملة وروتينية في غالب الأحيان خاصة إذا تجاوزت حدودها الرسمية أو القانونية أو استمرت لمدة طويلة من الزمن فتضع صاحبها بالفعل في حالة من المعاناة والاستلاب، ومع ذلك فإن الإنسان مجبر دائما على العمل المهني مهما كان مرهقا من اجل قوته وإشباع حاجات، مع أن العمل ليس هدفا في حد ذاته بل هو ضروري من أجل بلوغ أهداف أخرى سامية ومحببة ينشدها كل مهني أو عامل والتي لا يمكن إيجادها في مكان آخر سوي في الترويح والترفيه عن النفس، فكلما كان العمل رتيبا مملا كلما دعت الحاجة للبحث عن مثيرات للتخلص من الملل والرتابة المهنية والتي لا نعثر عليها إلا في الترويح المعاصر هذا الذي يضم فضائل وجودنا وأهدافه كما يرى عدد من علماء الاجتماع في ذلك[1].

لا نسعى في هذه الدراسة إلى معالجة كل القضايا السلبية المتعلقة بالحياة المهنية لأنها تتطلب مجالا أوسع وبحثا أعمق وإنما نكتفي بالتطرق إلى الظروف المرتبطة بكل ذلك، أهمها ظروف التنقل اليومي بين البيت ومقر العمل والمسافة التي تفصل بينهما، ووسيلة النقل المستخدمة..الخ، ولا شك أن كل هذه العناصر تحُدُّ من كمية الزمن الحر المتبقي فحسب، بل تؤثر سلبا على البنية الفيزيقية والنفسية للإنسان العامل ذاته، أي تضيف جهدا آخر إضافيا على الجهد البدني والنفسي الذي بذله أثناء عمله اليومي، فضلا على أنها مستهلكة لوقته

(1) Charlotte Laurent-Atthalin & autres: Les loisirs, Paris, Hatier, 2è. Editions, 1982, p28-29

الحر بحسب طول المسافة ووسيلة قطعها، فما هي المسافة الفاصلة بين مكان السكن ومكان العمل بالكيلومتر بالتقريب بالنسبة لهؤلاء الأولياء؟

جدول 8 المسافة بين مكان العمل وإقامة المبحوث (بالكلم)*:

بيان المسافة بالكيلومتر	التكرار	٪
أقل من 5 كلم	144	19.1
5 - 10 كلم	85	11.3
10 - 20 كلم	105	13.9
20 - 30 كلم	54	7.2
30 - 40 كلم	29	3.8
40 - 50 كلم	5	0.7
50 كلم فأكثر	18	2.4
أخرى	33	4.4
بدون إجابة	281	37.2
المجموع	754	100

يلاحظ في هذا الجدول أن معظم المبحوثين استطاعوا تقدير المسافة بنسبة كبيرة تصل في مجملها (أي بعد عملية الجمع) إلى 62.8 ٪ من المبحوثين، مما يؤشر على أهمية هذا السؤال، ويقطع معظمهم مسافة قدرها 16.43كلم (بعد حساب متوسط الحسابي العام)، غير أن الذين يتنقلون يوميا مسافة لا تتجاوز 5 كلم يمثلون النسبة الغالبة تقدر بـ 19.1٪، ثم تليها نسبة الذين يقطعون مسافة تتراوح بين 10 إلى 20 كلم تقدربـ 13.9 ٪، وهذا يدل على أن أغلب الأولياء يعملون داخل العاصمة أو في ضواحيها القريبة، في مقابل أقلية صغيرة لا تتجاوز نسبة 2.4٪ التي تتنقل يوميا لمسافة تبعد بأزيد عن 50 كلم عن مقر سكناهم.

ومن الواضح أن طول المسافة وقصرها يؤثر على كمية الوقت الحر بعد العمل الرسمي كما تؤثر بالكثير أو القليل على كمية الوقت اليومية المتبقية والتي يمكن استثمارها في التفاعل الأسري الداخلي، غير أننالا يمكن تقدير ذلك إلا بحساب كمية الوقت المستغرقة في قطع

* ـ الإجابات محسوبة بالنسبة للعاملين والمتقاعدين وغير العاملين، باعتبار أن الإجابة قد تعني الظروف السابقة عندما كان الأب يعمل، أو تعني تنقلاته لنشاطاته العملية غير الرسمية التي يعتبرها بدون عمل.
ـ بدون إجابة تعني خاصة فئتي المتقاعدين وبدون عمل ولذلك جاءت النسبة مرتفعة.
ـ المسافة في وقتنا تقاس بالساعات والدقائق وليس بالكيلومترات.

تلك المسافات، كما هو مبين في الجدول التالي:

جدول 9 المدة الزمنية التي يقضيها الولي في التنقل اليومي للعمل ذهابا وإيابا (محدد بالساعات)

المدة	التكرار	٪
أقل من ساعة	175	23.2
من ساعة إلى ساعتين	164	21.8
من ساعتين إلى3 ساعات	74	9.8
من 3 ساعات إلى4 ساعات	30	4
من 4 ساعات إلى 5 ساعات	10	1.3
من 5 ساعات فأكثر	8	1.1
أخرى	31	4.1
بدون إجابة	262	34.8
المجموع	754	100

اتضح كذلك بأنه كلما كانت ساعات التنقل منخفضة كلما كانت نسبة المستجوبين مرتفعة والعكس صحيح أيضا، أي أن نسبة الذين يقطعون تلك المسافة في أقل من ساعة تصل إلى 23.2 ٪ في حين أن الذين يقطعونها في أكثر من خمس ساعات لا تتجاوز نسبتهم 1.1٪، ويبدو هذا طبيعي لأن الإنسان غالبا ما يسعى إلى إيجاد منصب عمل في أقرب مسافة ممكنة من منطقة سكناه، والأهم هنا أن هذه النتيجة تؤكد ما سبق قوله بأن الأولياء، ولاسيما الذين يزاولون عملا رسميا أو وظيفة دائمة، يعانون يوميا من جهد التنقل والمواصلات الذي يستغرق أكثر من ساعة و32 دقيقة يوميا وهو ما يمثل المتوسط الحسابي العام، وهذا على حساب الوقت الحر والراحة البدنية المفروض توفيرهما للاهتمام بالبيت والأسرة وللتفاعل مع أعضائه.

والواقع أن نوعية النقل ووسائله (إن كانت حافلة أوقطار أو سيارة أو سيارة خاصة.. أو على الأقدام)، لها دور مهم في راحة العامل أو تعبه، ولأنها تلتهم جزءً معينة من وقته إذا ما كانت تحدث يوميا خاصة مع ازدحام شوارع العاصمة بالسيارات وعدم تنظيم حركتها وقد يتعطل السير لساعات طوال لقطع مسافة من بضع كلومترات، كما يلاحظ في السنين الأخيرة، ولذلك يتعرض الجدول التالي إلي هذا الأمر:

جدول 10 الوسيلة المستخدمة في التنقل إلى العمل

بيان الوسيلة	التكرار	٪❖❖
سيارة خاصة	208	27.58
نقل عمومى	197	26.12
مشيا على الأقدام	108	14.32
نقل مؤسسة العمل	81	10.74
أخرى	15	1.98
بدون إجابة	191	25.33
مجموع مفردات العينة	754	-

❖❖ كل نسبة مئوية مأخوذة من المجموع العام للعينة المدروسة لآن هناك من يستخدم أكثر من وسيلة نقل

إن استخدام سيارة خاصة حسب الجدول السابق هو الغالب بنسبة كبرى تقدر بـ 27.58 ٪، والنقل العمومي بنسبة قريبة جدا منها وهي 26.12 ٪، أما بقية المبحوثين فوسائل نقلهم متنوعة بين مشي على الأقدام أو بنقل المؤسسة أو وسائل أخرى غير محددة، وأما الذين لم يستطعوا تحديد وسيلة النقل ونسبتهم مرتفعة تقدر بـ 25.33٪ ربما يكون هؤلاء من المتقاعدين أو البطالين الذين يشكلون فئة معتبرة عددا في هذا البحث كما سبق الإشارة إليه، وعليه يمكن عرض الملاحظات التالية:

- تراجع التنقل بوسائل المؤسسات بتراجع العمل في الشركات.
- لا يستخدم النقل العمومي من قبل المستجوبين سوى الربع منهم.
- أكثر من ربع المستجوبين يستخدمون سياراتهم الخاصة.
- نسبة أخرى هامة لا تستخدم أي وسيلة النقل لقربها من مقر سكناها.

لكن توفير الوقت والجهد لا يرتبطان بطول المسافة أو قصرها فحسب، بل بنوعية وسائل النقل المستخدمة، فالذي يتنقل بواسطة الحافلات العامة التي عادة ما تكون مكتظة بالركاب قد لا يجد الراحة والسهولة التي يتلقاهما المتنقل بسيارته الخاصة أو حتى الراحة التي يجدها المستفيد من النقل الخاص بالمؤسسة التي يعمل بها.

مما سبق يمكن القول أن معظم الأولياء يعانون من ظروف النقل التي تؤثر عليه سلبا من جانبين:

- الأول يحدث ذلك على حساب الوقت الحر المخصص للراحة والجلوس مع أفراد الأسرة.

- و ثانيا تضيف ظروف النقل جهدا بدنيا وعصبيا أي تعب إضافي على ما ترتب من تعب مهني يومي وفي الحياة اليومية.

ولا شك أن هذه النتيجة تمثل ضغوطا على الأولياء على أداء العملية التربوية من مجالسة الأبناء، أو تمنعهم من زيارة معلميهم وأساتذتهم أو تقلل فرص تتبع تمدرس أبنائهم.

خلاصة واستنتاج:

لقد تعرضنا لمعطيات ميدانية واقعية عن جانب من واقع التفاعل الداخلي للأسرة والعلاقات الأسرية من خلال ظروف البيئة المحيطة الفعلية مع ظروف حياة الأسر الجزائرية اليومية وبإمكاننا تلخيص ذلك في النقاط التالية:

- حرص الآباء على تنظيم أوقات دخول أبناء وخروجهم.

- الجلسات العائلية اليومية ومجالسة الأبناء.

- رقابة الأبناء وصعوباتها.

- فرص التفاعل الأسري.

- الترويح والتفاعل الأسري.

- النقل وميزانية الوقت.

وبصورة عامة نستخلص أن الأسرة الجزائرية العاصمية في هذه العينة تحرص على تنظيم أوقات أبنائها عند خروجهم وعودتهم إلى البيت، لكنها تركز على البنات أكثر من البنين، وعلى الصغار قبل الكبار وهذا يعني بأن الأسرة ما تزال تحافظ على قيمها الاجتماعية والدينية وعاداتها، التي تخصص للأنثى موقعا متميزا في داخل منظومة القيم، كما تدل على أن كثير من الأسر بالجزائر العاصمة أصبحت مرتابة مما يحدث في المدينة وينسج حياتها اليومية بعد الأحداث الدامية التي عاشتها الجزائر، وربما هذا ما يفسر مدى تركيز حرص الأولياء على تنظيم أوقات خروج ودخول أبنائهم الصغار بالنسبة للذكور.

- أمّا في ما يتعلق بمراقبة الأبناء في متابعة دروسهم، لوحظ أن نصف عدد الأسر المدروسة تعاني من صعوبة في هذا المجال نتيجة لظروف عديدة تقف أمامها في ممارسة وظيفتها التربوية. أي أنها تعاني من ضغوط ما في حياتها اليومية، أهمها على الترتيب: ظروف الحياة اليومية خارج البيت، ثم ظروف العمل فظروف المسكن، على الترتيب، تعتبر كلها من أهم

الضغوطات التي تمارس على الأولياء وتجعلهم عاجزين عن أداء فعل مراقبة أبنائهم عند تمدرسهم، فمن الصعب توفير وقت وتخصيصه للإطلاع على شؤون الأبناء الدراسية، غير أن كثيرا من الأولياء يتتبعون أبناءهم عن قرب خلال دراستهم في السنوات الأولى من التعليم ويتراجعون تدريجيا في ممارسة هذه العملية كلما كبروا وصعدوا إلى مستويات عليا من التعليم، ورغم ذلك تبقى مراقبة الأبناء من أهم انشغالات الآباء والأمهات، وأن من يتولى هذه الوظيفة مباشرة بعد الأولياء هم الأخوة ثم الأقارب...مما يعكس علاقة التعاون العائلي والتضامن والاعتماد على قوة الروابط القرابية وتماسكها، بالرغم من ضغوطات المحيط الخارجي والحياة اليومية.

- يمثل الجلوس إلى مائدة الطعام بالبيت أهم الفترات السانحة التي يلتقي فيها عادة الآباء بأبنائهم، وتشكل وجبة العشاء" أهم مناسبة هذا اللقاء ثم وجبة الفطور في المرتبة الثانية، أما جلسة وجبة الغذاء الجماعية فهي نادرة بسبب ظروف العمل من جهة وظروف المواصلات من جهة ثانية التي لا تسمح بتوفير الوقت لذلك، ولا ريب أن تكرار ضغوط هذه الظروف يوميا في حياة الفرد قد يؤثر على المدى الطويل في شدة التفاعل بين الآباء والأبناء لقلة فرص اللقاء.

- أثبتت الدراسة أن الأغلبية الساحقة تحرص على استغلال أيام العطل لقضائها مع أفراد أسرهم ولاسيما في زيارة أقاربهم رفقة أبنائهم وتبدو هذه الظاهرة الأكثر ممارسة في الحياة الأسرية بالجزائر العاصمة وهي تدل على شدة الروابط القرابية ومدى تمسكها بتقاليدها العريقة، رغم الضغوطات الحياة الحضرية وتحولها، من ناحية، ولكنها تبدو أنها غير مكلفة مادية من ناحية أخرى بالنسبة إلى الأساليب الأخرى لقضاء العطل كالسياحة والسفر ..الخ.

- وفيما يتعلق بصحبة الأبناء عند قضاء الشؤون العامة خارج البيت تبين أن الأولياء عموما قليلو الحرص في هذا الصدد، كما تبين أن مستواهم التعليمي يلعب دورا هاما في هذه العملية فكلما كان مستوى التعليم مرتفعا عند الأب زاد اهتمامه بهذه العملية التربوية، وربما يعود ذلك أيضا إلى أن متغير التعليم مرتبط بنوعية العمل من جهة ومستوى الدخل من جهة ثانية، فالأقل تعليما غالبا ما يعملون في وظائف مرهقة وقليلة الدخل مما يعكس سلبا على هذه العملية التربوية.

- أكدت هذه الدراسة على أن الأولياء، ولاسيما الذين يزاولون نشاطا رسميا، يعانون يوميًا من جهد التنقل والمواصلات الذي يستغرق أكثر من ساعة و32 دقيقة، وهذا على حساب الوقت الحر والراحة البدنية المفروض توفيرهما للعناية بأبنائهم. وتبين أن استخدام النقل العمومي، من قبل ربع المبحوثين، مرهق ومقلص لوقتهم الحّر المفترض استثماره في العلاقات

الأسرية، وقد تفسر هذه النتيجة قلة زيارات الأولياء لمعلمي وأساتذة أبنائهم.

وبعد هذا العرض الوجيز عن جانب من نتائج دراسة ميدانية عن واقع الأسرة الجزائرية بالعاصمة نعتقد بأن هذا الموضوع ما يزال بحاجة إلى المزيد من البحث الدقيق والمستمرة ولاسيما بعد التحولات المتسارعة التي يشهدها المجتمع الجزائري على مختلف الأصعدة: الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، والتي تتطلب تضافر جهود كثير من الباحثين في العلوم الاجتماعية من أجل معاينة المشكلات المستجدة والطارئة المتعلق بالأسرة والتربية عموما في المجتمع الجزائري وفحصها فحصا علميا بغية التوصل إلى حلول وعرض اقتراحات تساعد القائمين على صنع القرارات والقائمين على تنفيذها لتحقيق الأهداف المرجوة ألا وهي تحقيق الاستقرار الاجتماعي والرفاهية والتماسك الأسري في مجتمع خالٍ من الاضطرابات وانحرافات في سلوك أبنائه. ونأمل أن يكون هذا العرض مصدر إثارة لباحثين آخرين في المستقبل.

المراجع والمصادر:

-محمد عاطف غيث قاموس علم الاجتماع، القاهرة، الدار المصرية للكتاب، 1979.

-محمد بومخلوف وآخرون: واقع الأسرة الجزائرية، الجزائر دار الملكية للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام، ط1، 2008

-محمد السويدي: مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1991.

-أحمد زايد: علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية، القاهرة، دار المعارف، ط1.

-أحمد الجلاد: البيئة وجغرافية الترويح وأوقات الفراغ، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 1998.

- محمد على محمد: وقت الفراغ في المجتمع الحديث، بيروت، دار النهضة العربية، 1985.

-Charlotte Laurent-Atthalin & autres: Les loisirs, Paris, Hatier, 2è. Editions,1982,

-F.Balle: Encyclopédie de la sociologie le présent en question, Paris, Librairie Larousse,1975,.

-Jean Fourastie: Des loisirs pour quoi faire? Belgique, Casterman, 1970,

-Joffre Dumazedier: Vers une civilisation du loisir? Paris, Eds. Du Seuil, 1962,

-Marie-Françoise Lanfant: Les théorie du loisir, Paris, P.U.F,1972,

-Michel de Coster & et François Pichault: Le Loisir en 4 démentions, Bruxelles, Eds Labor,1985,

-Michèle Giacobbi: Initiation à la sociologie, Paris, Hatier, 1990,